©sakarya üniversitesi ilahiyat fakültesi dergisi 17 / 2008, s. 25-45
tefsir

تأملات في المناسبات
ودراسة تطبيقية من القرآن الكريم

Muhammed AYDIN[*]

Bu çalışmada Kur'an ilimleri arasında yer alan "münasebet ilmi" tanıtılmaya çalışılmaktadır. Makalede münasebet ilminin önemi ve faydaları belirtildikten sonra İslam alimlerinin bu ilim hakkındaki olumlu veya olumsuz görüşlerine ve bu ilim çerçevesinde Kur'an'ın daha iyi anlaşılmasına yönelik olarak ortaya konulan temel kaidelere yer verilmiştir. Daha sonra ayetler arasındaki münasebet, ayet içi münasebet, surelerin başları ve sonları arasındaki münasebet vb. konular, Razi ve Ebu Hayyan gibi bu ilmin otoriteleri sayılan müfessirlerin eserlerinden örnekler seçilerek açıklanmaya ve bu bağlamda konunun Kur'an'ın anlaşılması noktasındaki rolüne vurgu yapılmaya çalışılmıştır.

علم المناسبة علم مهم من العلوم التي تعين على فهم القرآن، والقرآن الكريم كتاب معجز، إذا دقق تدقيقا علميا من أوله إلى آخره يظهر ظهورا واضحا أنه كتاب قوي الاتصال حيث إن الاتصال والنظم الموجود بين آياته وسوره كجريان الدم في الجسم.

والذي يريد أن يشتغل بالبحث عن معاني القرآن الكريم في صورة صحيحة يجب عليه أن يهتم بالمناسبات بين الآيات والسور وبين أجزاء الآية الواحدة ، وبين أول كل آية بختامها، وبين أول كل سورة بآخر ما قبلها إلى غير ذلك من المناسبات.

[*] Doç.Dr., Sakarya Ü. İlahiyat F. Tefsir Anabilim Dalı, muhammed@sakarya.edu.tr.

ويتولى هذا البحثُ دراسة علم المناسبات في القرآن الكريم، وتطبيق هذا العلم في بعض الايات وفي بعض السور من بعض التفاسير كمفاتيح الغيب للرازي والبحر المحيط لأبي حيان لنستخلص رؤية متكاملة تعكس أهمية علم المناسبات في القرآن الكريم وأهمية التفاسير في بيان هذا المجال.

المناسبة في اللغة

قال ابن فارس (ت 395/ 1004) في معجم مقاييس اللغة : (النون، والسين، والباء، كلمةٌ واحدة قياسُها اتِّصال شيءٍ بشيء، منه النّسَب، سمِّي لاتِّصاله وللاتِّصالِ به، تقول: نَسَبْتُ أنْسُبُ، وهو نَسِيبُ فلانٍ، والنسيب : الطريق المستقيم لاتصال بعضه من بعض[1].

وقال ابن منظور (ت 1311/711) في لسان العرب: والنَّسِيبُ المُناسِبُ والجمع نُسَباءُ وأَنْسِباءُ، وفلانٌ يناسِبُ فلاناً فهو نَسِيبه أَي قَريبه[2].

وقال أبو بكر الرازي (ت 1358/760) في مختار الصحاح: فُلانٌ يُنَاسب فلاناً فهو نَسِيبه أي قريبُه، وبَيْنَهما مُنَاسَبة أي مُشَاكَلة[3].

وقال بدر الدين الزركشي (ت 1391/794): المناسبة في اللغة: المقاربة، وفلان يناسب فلانا أي يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب الذى هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة[4].

المناسبة في الاصطلاح

المناسبة في الإصطلاح : علمٌ تعرَف منه عِللُ ترتيب أجزاء القرآن[5]، أو وجهُ الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، 1979، 423/5.

(2) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، بدون التاريخ، مادة (نسب) 756/1.

(3) الرازي، زين الدين، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967، ص 656.

(4) الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، 35/1.

بين السورة والسورة من أنواع الارتباطات كالسبب والمسبب والعلة والمعلول[6], وقيل: المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول[7].

العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطحي

يبدو توافق المعنى اللغوي للمعنى الإصطلاحي للمناسبة، فكلاهما يعني أن الآية وجارتها شقيقتان، يربط بينهما رباط من نوع ما ، كما يربط النسب بين المتناسبين، غير أن ذلك لا يعني أن تكون الآيتان أو الآيات متماثلة كل التماثل، بل ربما يكون بينها تضاد، أو تباعد في المعنى ، المهم أن هناك صلة ، أو رابط ما يربط بين الآيتين، أو يقارب بينهما ،سواء توصل إليها العلماء أم لا ، فقد تظهر أحيانا، وتختفي أحيانا أخرى ، وفي هذا مجال لتسابق الأفهام[8].

مرجع علم المناسبة

مرجع المناسبة في الآيات وغيرها ـــ والله أعلم ـــ إلى معنىً ما رابط بينهما عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهنى كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوه، أو التلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر[9].

([5]) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مكتبة ابن تيمية، القاهرة 1969، 6/1.

([6]) سامي عطا حسن، المناسبات بين الآيات والسور، الجامعة الأردنية، مجلة دراسات، عدد1/مجلد30/ 2003م، ص 12؛ وانظر: يلماظ، محمد فائق، المانسبات بين الآيات والسور (Ayetler ve Sûreler Arasında Münâsebet)، نشر رئاسة الشؤون الدينية، أنقره، 2005، (باللغة التركية) ص 10.

([7]) الزركشي، المرجع السابق، 35/1.

([8]) سامي عطا حسن، المرجع السابق، ص 13.

([9]) الزركشي، المرجع السابق، 35/1؛ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974، 323/3.

اجتهادية المناسبات في القرآن الكريم

إن ربط بعض الآيات ببعض، وكذلك البحث عن مناسبات السور علم إجتهادي دقيق، وليس هناك أحد ممن يهتم بالمناسبات يجزم بما ذكره من اجتهاداته في المناسبات أنها هي مراد الله من كلامه عز وجل. ونرى أن الإمام السيوطي رحمه الله تعالى يشير إلى أن هذا العلم لا يكون إلا إجتهادات ومستنتجات فكرية حيث يقول: "وقد أردت أن أفرد جزءا لطيفا في نوع خاص من هذه الأنواع، وهو مناسبات ترتيب السور ليكون عُجالة لمريده، وبغيةً لمستفيده، وأكثر ذلك من نتاج فكري، وولاد نظري، لقلة من تكلم في ذلك أو خاض في هذه المسالك. وما كان فيه لغيري صرحت بعزوه اليه، ولا أذكر منه الا ما استُحسِن ولا انتقاد عليه، وقد كنت أولا سميته "نتائج الفكر في تناسب السور" لكونه من مستنتجات فكري كما أشرت اليه، ثم عدلت وسميته "تناسق الدرر في تناسب السور" لانه أنسب بالمسمى وأزيد"[10].

ومن المعلوم أيضا أنه ليس هناك ما يمنع شرعا عن صحة علم المناسبات وعلى الخصوص علم مناسبات القرآن الكريم، مما يدل على ذلك إقبال أكثر المفسرين على ذكر المناسبات في تفاسيرهم، وإفرادُهم هذا العلم بالتأليف كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

أهمية علم مناسبات القرآن الكريم وأقوال العلماء فيه

إن العلماء بينوا بجلاءٍ أهميةَ هذ العلم وجليلَ قدره، وعظيمَ الفائدة بمعرفته، وقد نبه إلى أهميته عدد من العلماء، ومن أشهرهم فخر الدين الرازي (ت 1209/606) حيث قال:"أكثرُ لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[11].

وقال السيوطي (ت 911/ 1505) في معترك الأقران:"علمُ المناسبة علمٌ شريف قَلّ اعتناء المفسرين به لدقته"[12].

([10]) السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، عالم الكتب، بيروت، 1987، ص 26.

([11]) الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، بدون التاريخ، 145/10.

([12]) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، 1988، 43/1.

ويرى الإمام إبراهيم بن عمر البقاعي (ت 1487/893) في كتابه نظم الدرر أن نسبة علم المناسبة من علم التفسير، نسبة البيان من علم النحو[13].

وقال الزركشي: "اعلم أن المناسبة علم شـــريـــــف تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول"[14]

أمـــــــــا القاضي أبو بكر بن العربي (ت 1148/543) فقد كشف عن منزلة هذا العلم بقوله: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني علمٌ عظيم لم يتعرض له إلا عالمٌ واحد عَمِل فيه سورةَ البقرة، ثم فتح الله ـــ عز وجل ـــ لنا فيه، فلما لم نجد له حَمَلَةً ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه"[15]

وقال فخر الدين الرازي في ختام تفسيره لسورة البقرة:" ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعلّ الذين قالوا: إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأمور، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل[16]:

والنجمُ تستصغرُ الأبصارُ رؤيَتَه[17] والذنبُ للطرْف لا للنجمِ في الصِّغَرِ[18]

([13]) البقاعي، المرجع السابق، 6/1.

([14]) الزركشي، المرجع السابق، 35/1.

([15]) الزركشي، المرجع السابق، 36/1؛ السيوطي، المرجع السابق، 369/3.

([16]) قائل هذا البيت هو أبو العلا المعري كما جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان، دار صادر، بيروت، 162/1.

([17]) جاء في بعض الكتب "صورته" بدلا من "رؤيَتَه" كما في نظم الدرر للبقاعي، والإتقان للسيوطي، 323/3؛

([18]) الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير، 139/7.

وقال الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (1947/1367): إن القرآن تقرؤه من أوله إلى آخره، فإذا هو محكمُ السّرد، دقيقُ السبك، متينُ الأسلوب، قويُّ الاتصال، آخذٌ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله، يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه، كأنه سبيكةٌ واحدةٌ، ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل، كأنه حلقةٌ مفرغة، أو كأنه سمطٌ وحيد وعقدٌ فريد يأخذ بالأبصار، نظمت حروفه وكلماته، ونسقت جمله وآياته، وجاء آخره مساوقاً لأوله، وبدا أوله مواتياً لآخره[19].

وقال الشيخ محمد عبد الله دراز (ت 1958/1378): "أجل إنك لَتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حُشيت حشواً وأوزاعاً من المباني جمعت عفواً؛ فإذا هي – لو تدبرت – بنيةٌ متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسسٍ و أصول، وأقيم على كل أصلٍ منها شُعبٌ وفصول، وامتد من كل شعبةٍ منها فروعٌ تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنيةٍ في بنيانٍ واحدٍ قد وضع رسمه مرةً واحدةً: لا تحسُّ بشيءٍ من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيءٍ من الانفصال في الخروج من طريقٍ إلى طريقٍ؛ بل ترى بين الأجناس المختلفة تمامَ الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نـــهاية التضام، والالتحام، كل ذلك بغير تكلفٍ ولا استعانة بأمرٍ من خارج المعاني أنفسها، إنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرضٍ ومقطعه وأثنائه يريك المنفصل متصلاً والمختلف مؤتلفاً"[20].

فوائد علم المناسبات

إن علم المناسبات يعتني بالكشف عن الفوائد والحِكَم في ترتيب ونظم الآيات القرآنية وترتيب سور القرآن على النحو الذي نجده اليومَ في المصاحف.

---

[19] الزرقاني، محمد بن عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، 1996، 44/1.

[20] دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، 1970، ص 155.

وقال بعض الأئمة: "من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطعا، وهذا النوع يهمله بعض المفسرين أو كثير منهم وفوائده غزيرة"[21].

إذا كان لمعرفة سبب النزول أثر في فهم المعنى ، وتفسير الآية، فمعرفة المناسبة بين الآيات تساعد كذلك على حسن التأويل، ودقة الفهم، وإدراك اتساق المعاني بين الآيات، وترابط أفكارها، وتلاؤم ألفاظها، فالقرآن الكريم فيه كثير من فنون العقائد، والأحكام، والأخلاق، والوعظ، والقصص، وغيرها من مقاصد القرآن التي جعلها الله سبحانه هداية للبشر، والتي تدور جميعها على الدعوة إلى الله، والقرآنُ يبث هذا المعنى من خلال المقاصد، والأغراض الموزعة على كافة الآيات والسور ، فلو جمع كل نوع على حدة ، لَفَقَدَ القرآنُ بذلك أعظمَ مزايا هدايته المقصودة[22].

يرى الإمام البقاعي في كتابه مصاعد النظر "أن كل سورة لها مقصد واحدٌ يدار عليه أولها وآخرها، ويُسْتَدَلّ عليه فيها، فترتب المقدمات الدَّالة عليه على أتقن وجه وأبدع نهجٍ، وإذا كان فيها شيءٌ يحتاج إلى دليل استدلّ عليه...، فإذا وصل الأمر إلى غايته ختم بما منه كان ابتداء، ثُمَّ انعطف الكلام إليه، وعاد النظر عليه، على نهج بديع، ومرقى غير الأول منيع، فتكون السورة كالشجرة النضيرة العالية والدوحة البهيجة الأنيقة الحالِية، المُزَيَّنَة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدرّ، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكلّ دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها كما لاحم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كلّ سورة كدائرة كبرى مشتملة على دوائر الآيات الغرّ البديعة النظم، العجيبة الضَمّ، بلين تعاطفِ أفنانها وحسن تواصل ثمارها وأغصانها"[23].

قال محمد رشيد رضا : وقد خطر لى وجه، وهو الذي يطرد في أسلوب القرآن الخاص، في مزج مقاصد القرآن بعضها ببعض، من عقائد، وحكم، ومواعظ، وأحكام

([21]) الزركشي، المرجع السابق، 36/1.

([22]) سامي عطا حسن، المرجع السابق، ص 13.

([23]) البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، مكتبة المعارف، الرياض، 1987، 149/1.

تعبدية ومدنية، وغيرها، وهو نفي السآمة عن القارئ والسامع من طول النوع الواحد منها، وتجديد نشاطهما وفهمهما واعتبارهما في الصلاة وغيرها[24].

ويقول الزركشي في فائدة علم المناسبات بين الآيات: "فائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء"[25].

وعبارة الزركشي هذه ـــ كما قال أحمد حسن ـــ توهم أن علم المناسبة هو الذي يجعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، في حين أن الارتباط قائم وموجود في الأصل، ولكن علم المناسبة هو الذي يكشف هذا الارتباط ويميط عنه اللثام فيبدو بعد أن كان خافيا[26].

وقال البقاعي مبيناً فائدة جليلة من فوائد معرفة هذا العلم: "وبهذا العلم يرسَخ الإيمانُ في القلب ويتمكن من اللب؛ وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب. والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب، والأول أقرب تناولاً، وأسهل تذوقاً"[27].

وقال الشيخ ولي الدين محمد بن أحمد الملوي المنفلوطي الشافعي (ت744/1343): قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة، لأنها على حسب الوقائع المفرقة، وفصل الخطاب: أنها على حسب الوقائع تنزيلا، وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا، مرتبة سوره كلها، وآياته بالتوقيف...[28].

([24]) رشيد رضا، تفسير المنار، دار المعرفة، بدون التاريخ، بيروت، 445/2؛ سامي عطا حسن، المرجع السابق، ص 13.

([25]) الزركشي، المرجع السابق، 36/1؛ السيوطي، الإتقان، 323/3؛ السيوطي، معترك الأقران، 45/1.

([26]) انظر: أحمد حسن، مجلة الجامعة الإسلامية، ضمن المكتبة الشاملة، 95/3.

([27]) البقاعي، المرجع السابق، 10/1-11.

([28]) الزركشي، المرجع السابق، 37/1؛ البقاعي، المرجع السابق، 7/1؛ السيوطي، الإتقان، 323/3.

ويزيد هذا الكلام إيضاحاً الشيخ محمد عبد الله دراز (ت 1958/1378) فيقول: "إن كانت – أي الآيات – بعد تنزيلها جُمعت عن تفريق فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع، كمثل بنيان كان قائماً على قواعده، فلما أريد نقله بصورته إلى غير مكانه قدرت أبعاده ورقمت لبناته ثم فُرِّق أنقاضاً، فلم تلبث كل لبنة أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصاً يشد بعضه بعضاً كهيئته أول مرة"[29].

وهناك فوائد أخرى لهذا العلم ذكرها الخضيري، ومنها[30]:

1 – أنه يفيد في معرفة أسرار التشريع، وحِكَم الأحكام وإدراك مدى التلازم التام بين أحكام الشريعة؛ فإذا قرأت قوله ــ تعالى ــ: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ...}[31]، وتعرفت على المناسبة بين الأمر بغض البصر وحفظ الفرج علمت ما بينهما من التلازم والتلاؤم؛ فحفظ الفرج لا يتم إلا بغض البصر، ومن أطلق بصره في الحرام فحري أن تزلّ قدمه في الآثام.

2– أنه يعين على فهم معنى الآيات وتحديد المراد منها، ومن ذلك: خلاف المفسرين في معنى قوله ــ تعالى ــ : {وَالصَّافَّاتِ صَفًّا}[32]، فقال قوم: هي الملائكة، وهذا قول الجمهور، وقال آخرون: هي الطير، والصحيح الأول؛ وذلك لأنا لو بحثنا عن المناسبة بين أول السورة وخاتمتها لوجدناه ذكر في الخاتمة في معرض حديث الملائكة عن أنفسهم: {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ . وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ}[33].

([29]) سامي عطا حسن، المرجع السابق، ص 13.

([30]) انظر الخضيري، محمد، علم المناسبات في القرآن، موقع http://www.ruowaa.com/vb3/showthread.php?t=6081

([31]) سورة النور، الآية: 30.

([32]) سورة الصافات، الآية:1.

([33]) سورة الصافات، الآيتان: 165، 166.

3- وبه يتبين لك أسرار التكرار في قصص القرآن، وأن كل قصة أعيدت في موطن فلمناسبتها ذلك الموطن، ولذلك ترى اختلافاً في ترتيب القصة ونظمها بحسب المناسبة وإن كانت متحدة في أصل المعنى[34].

قاعدة في معرفة مناسبات القرآن الكريم

على من يريد أن يبحث عن المناسبات بين الآيات القرآنية أن ينطلق من هذه القاعدة الكلية التي نص عليها البقاعي في مفتتح تأويله سورة "الفاتحة" قائلا: " الأمر الكُلّي المفيدُ لعِرْفانِ مناسبَات الآياتِ في جميع القرآن هو أنّك تنظرُ إلى مراتبِ تلك المقدِّمات في القربِ والبعدِ من المطلوبِ، وتنظرَ عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشرافِ إلى الوقوفِ عليْها، فهذا هو الأمر الكلّيُّ المهيمن على حكم الربطِ بينَ جميعِ أجزاءِ القرآنِ ، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله تعالى وجه النظم مفصلا بين كلّ آية وآية، في كلّ سورة وسورة"[35].

والذى ينبغى في كل آية أن يبحث أول كل شئ عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففى ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له[36].

وكذلك الأمر الذي ينبغي التنبيه إليه هو أن تقرير المناسبات بين الآيات والسور، وغير ذلك من أنواع المناسبات، لا ينبغي أن يكون خبط عشواء، بل لابد أن يقوم على أساس متين، ويستند إلى ركن ركين؛ معتمدًا في كل ذلك على قرائن وأدلة، تؤيد تقرير

([34]) انظر البقاعي، نظم الدرر، 14/1.

([35]) البقاعي، المرجع السابق، 17/1-18؛ وانظر توفيق محمود، الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن الكريم، ضمن المكتبة الشاملة، الطبعة الأولى، 1424هـ، 194/1.

([36]) الزركشي، المرجع السابق، 37/1؛ البقاعي، المرجع السابق، 8/1؛ السيوطي، الإتقان، 323/1.

وجه هذه المناسبة أو تلك؛ أما التكلُّف في استخراج وجوه المناسبات، من غير دليل يستند إليه، أو أمر يعول عليه، فهو أمر مرفوض لا يؤبه به، ولا يلتفت إليه[37].

صلة علم المناسبة بترتيب السور وترتيب الآيات

إن القرآن معجز في ترتيبه ونظمه كما هو معجز في أسلوبه ولفظه، فما من سورة أو آية بل ما من كلمة أو حرف؛ إلاّ وُضع في موضعه اللائق به لحكمة يعلمها مُنزِلُه سبحانه وتعالى، ولو نزعت منه كلمة ثم أدير لسانُ العرب على أحسن منها لن يوجد ذلك ولن تتسع له اللغة بكلمة واحدة[38]. ومن المسائل الوثيقة الصلة بهذا العلم، مسألة ترتيب سور القرآن وآياته، هل هو أمر توقيفي، لا مجال للاجتهاد فيه؛ أم هو أمر اجتهادي؟

والذي ذهب إليه المحققون من أهل العلم، أن ترتيب آيات القرآن الكريم أمر توقيفي من النبي صلى الله عليه وسلم، لا مدخل للاجتهاد فيه[39]، ومن أهم الأدلة على ذلك، قوله تعالى: {إن علينا جمعه وقرآنه}[40]، والجمع في الآية – كما قال المفسرون – على معنيين، الأول: جمعه في صدر النبي صلى الله عليه وسلم؛ والثاني: جمعه بمعنى تأليفه وترتيب سوره وآياته[41].

---

(37) الحصيني، حمعان، موقع http://husane.com/vb/showthread.php?t=2.

(38) القاسم، محمد أحمد يوسف، الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، القـاهرة، 1979، ص 238.

(39) الزركشي، المرجع السابق،256/1؛ السيوطي، الإتقان، 172/1.

(40) سورة القيامة، الآية: 17.

(41) انظر موقع http://www.islamweb.net/ver2/Archive/readArt.php?lang=A&id=58563

وفي حديث عثمان كَانَ رَسُولُ اللَّه –صلى الله عليه وسلم– مِمَّا يَأْتِى عَلَيْه الزَّمَانُ وَهُوَ تَنْزِلُ عَلَيْه السُّوَرُ ذَوَاتُ الْعَدَد فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْه الشَّىْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ فَيَقُولُ ضَعُوا هَؤُلاَءِ الآيَاتِ فِى السُّورَةِ الَّتِى يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا [42].

أما ترتيب السور، فالتحقيق أن منه ما أُخذ من إشارات الأحاديث النبوية، وأفعاله صلى الله عليه وسلم؛ ومنه ما وقع باجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين[43].

أول من أظهر علم المناسبات، والعلماء الذين يعتنون بذكر المناسبات بين الآيات والسور

ويذكر فضيلة الأستاذ الدكتور نور الدين عتر حفظه الله في مذكرته (علم المناسبات) أن أول ما بدأ به علم المناسبات شذرات على لسان السلف رضي الله عنهم يستأنسون بها في تفسير القرآن ولا سيما في اجتهاداتهم وحواراتهم ، وذكر أيضاً أن أول ظهور هذا الفن مسجلاً كان عند الإمام أبي جعفر الطبري (ت 922/310) [44].

قال الشيخ أبو الحسن الشهرابانى أحمد فيما نقله عنه الزركشي والسيوطي: "أول من أظهر علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره، هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري (ت935/324) وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية: لِمَ جعلت هذه الآيةُ إلى جنب هذه، وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة، وكان يزرى على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة"[45].

---

(42) أحمد بن حنبل، المسند، مؤسسة الرسالة، بيروت 1999، 460/1؛ الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (تحقيق أحمد شاكر)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000؛ البغوي، حسين بن مسعود، معالم التنزيل، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1997، 7/4؛

(43) الزركشي، المرجع السابق، 257/1؛ وانظر الحصيني، جمعان، موقع http://husane.com/vb/showthread.php?s=07c0e564837534f11200caee54d4fb6c&t=2

(44) انظر موقع http://www.tafsir.org/vb/showthread.php?threadid=163.

(45) الزركشي، المرجع السابق، 36/1؛ وانظر أيضا السبيوطي، الإتقان، 369/3.

وهذه الأولية إنما هي باعتبار شدة العناية والتعليم؛ وإلا فالمتتبع لتفاسير السلف حتى من الصحابة يجدهم يتحدثون أحياناً عن المناسبات في بعض المواطن وإن كانت قليلة[46].

ومن أبرز مَن أفرد علم المناسبات بالتصنيف

1- الإمام إبراهيم بن عمر البقاعي (ت 1487/893) في كتابه: "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"

2 - أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي الأندلسي (ت 807 هـ) في كتابه: "البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن".

3- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ) : تناسق الدرر في تناسب السور.

4 - عبد الله الغُمَاري في كتابه: "جواهر البيان في تناسب سور القرآن".

5 - محمد أحمد يوسف القاسم، في كتابه " الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره.

والذين جعلوه نوعاً من علوم القرآن الكريم وتحدثوا عنه في باب من كتبهم، ومن أشهرهم:

1 – الزركشي، محمد بن عبد الله (ت 1392/795) في كتابه: "البرهان في علوم القرآن" فقد جعله النوع الثاني.

2 – السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر (ت 1505/911) في كتابه: "الإتقان" وقد جعله في النوع الثاني والستين.

ومن المفسرين الذين عُنُوا بذكر المناسبات في تفاسيرهم، ومن أشهرهم:

---

(46) انظر الخضيري، موقع http://www.ruowaa.com/vb3/showthread.php?t=6081

1- الرازي، محمد بن عمر (ت 1209/606) في تفسيره "مفاتيح الغيب".

2- حسين بن محمد النيسابوري (ت 1327/728 في كتابه "غرائب القرآن ورغائب الفرقان".

3- الخازن ، علاء الدين علي بن محمد البغدادي (ت 1340/741) في تفسيره "لباب التأويل في معاني التنزيل.

4- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت 1344/745) في تفسيره " البحر المحيط".

5- أبو السعود، محمد بن مصطفى (ت 1574/982) في تفسيره: "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم".

6- الآلوسي، شهاب الدين محمود (ت 1853/1270) في تفسيره "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني".

7- رضا ، محمد رشيد(ت1935/1354) في كتابه " تفسيرالقرآن الحكيم (الشهير بالمنار)".

8- الفراهي، عبد الحميد بن عبد الكريم، (ت 1930/1349) في تفسيره "نظام الفرقان".

9- المراغي، أحمد بن مصطفى (ت 1951/1371، في تفسيره المشهور بـــ"تفسير المراغي.

10- سيد قطب إبراهيم (ت 1967/1387) في كتابه: "في ظلال القرآن".

11- ابن عاشور، محمد الطاهر (ت 1973/1393) في تفسيره "التحرير والتنوير".

12- حوى ، سعيد بن محمد (ت 1989م) في كتابه "الأساس في التفسير".

وغيرهم كثير، وتفاسيرهم حافلة بالشواهد والأمثلة، التي لا يتسع لها هذا البحث

موقف عز الدين بن عبد السلام والإمام الشوكاني من علم المناسبة

بعد أن بين الشيخ عز الدين بن عبد السلام (ت 660/ 1261) أن المناسبة علم حسن قال: "لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد، مرتبط أولُه بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر. ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلا عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض مع اختلاف العلل والأسباب كتصرف الملوك والحكام والمفتين وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة، وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها"[47].

فسلطان العلماء – كما ذكر سامي عطا حسن – لم يعارض وجود المناسبة والترابط بين الكلام، لكنه اشترط أن يقع الكلام في أمر متحد، وما عدا ذلك فهو يراه أمراً متكلفا[48].

ويقول الإمام الشوكاني (ت 1834/1250): اعلم أن كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فنّ لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلف بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية، المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاءوا بتكلفات، وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء، فضلاً عن كلام الرب سبحانه، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف، وجعلوه المقصد الأهمّ من التأليف، كما فعله البقاعي في تفسيره، ومن تقدّمه، حسبما ذكر في خطبته، وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن هذا القرآن

([47]) الزركشي، المرجع السابق، 37/1؛ السيوطي، الإتقان، 322/1.

([48]) سامي عطا حسن، المرجع السابق، ص 12.

ما زال ينزل مفرّقاً على حسب الحوادث المقتضية لنزوله، منذ نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قبضه الله – عزّ وجل – إليه[49].

وكلام الشوكاني هذا يحمل على المقاطع المنفصلة، أما المقطع الواحد فلا ينكر وجود التناسب فيه، ولا طلبه. أما قوله بأن فن المناسبة (كلام بمحض الرأي المنهي عنه) فغير مقبول ، لأن الرأي المنهي عنه هو الرأي الناشئ عن الهوى ، أو غير الملتزم بضوابط التفسير.

قال الإمام أبو إسحاق الشاطبي (ت 1388/790) : إن إعمال الرأي في القرآن جاء ذمه ، وجاء أيضا ما يقتضي إعماله...، فما كان موافقا كلام العرب ، والكتاب والسنة، فهذا لا يمكن إهمال مثله لعالم بهما ، أما الرأي غير الجاري على موافقة العربية ، أو غير الجاري على الأدلة الشرعية ، فهذا هو الرأي المذموم ، المنهي عنه[50].

كما أن ذكر المناسبة بين الآيات والسور: ليس تكلما بمحض الرأي ، بل هو يبرز الوحدة المعنوية بين آيات وسور الكتاب العزيز ، ويرسخ الاعتقاد بإعجاز القرآن الكريم ، لما يبديه هذا العلم من لطائف القرآن وأسراره ، كما أنه يعزز رأي العلماء الذين يرون أن ترتيب السور توقيفي، لا اجتهاد فيه . أما قوله: (فجاءوا بتكلفات، وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء، فضلاً عن كلام الرب سبحانه ..الخ) ففيه حيف على المفسرين[51].

نماذج تطبيقية من بعض أنواع المناسبات في القرآن الكريم

استخراج مناسبات القرآن ما هو إلا نوع من أنواع إعجازه، والقرآن وإن كان في غِنًى عن كل ذلك، فهو يدل بنفسه على أنه لا صنعة فيه لبشرٍ، إلاّ أنه يحتاج لهذا النوع من الإعجاز لدحض شبهات المفترين من المستشرقين وممن ينتسبون للإسلام أيضا[52].

([49]) الشوكاني، محمد بن علي، دار الفكر، بيروت، 1992، 115/1.

([50]) الشاطبي، أبو إسحاق، الموافقات، دار المعرفة، بيروت، تحقيق عبد الله دراز، 421/3.

([51]) سامي عطا حسن، المرجع السابق، ص 13.

([52]) القاسم، محمد أحمد يوسف، المرجع السابق، ص 298.

إن المناسبة في القرآن الكريم على أنواع؛ فمنها المناسبة بين أجزاء الآية الواحدة، والمناسبة بين الآيات، والمناسبة بين السورة واسمها، والمناسبة بين بداية السورة ونهايتها، والمناسبة بين السورتين.

ومن الأمثلة على المناسبة بين أجزاء الآية الواحدة:

إن القرآن يراعي فواصل الآيات لما لذلك من تأثير كبير على السمع، ووقع مؤثر في النفس.

ومن ذلك قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}، وفي مناسبة الأمر بأداء الأمانة أولا ثم العدل بين الناس ثانيا يقول الإمام الرازي: "اعلم أن الامانة عبارة عما إذا وجب لغيرك عليك حق فأديت ذلك الحق اليه فهذا هو الأمانة، والحكم بالحق عبارة عما إذا وجب لانسان على غيره حق فأمرت من وجب عليه ذلك الحق بأن يدفعه إلى من له ذلك الحق، ولما كان الترتيب الصحيح أن يبدأ الانسان بنفسه في جلب المنافع ودفع المضار ثم يشتغل بغيره، لا جرم أنه تعالى ذكر الأمر بالامانة أولا، ثم بعده ذكر الأمر بالحكم بالحق ، فما أحسن هذا الترتيب ، لأن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[53].

ومن ذلك قوله تعالى : (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[54]، ففي الآية أن جزاء السارق والسارقة قطع أيديهما ، والتنكيل بهما جزاء سرقتهما وخيانتهما. قال الأصمعي: كنت أقرأ سورة المائدة، ومعي أعرابي ، فقرأت هذه الآية :

(والسارق والسارقة ..) فقلت: (والله غفور رحيم) سهوا، فقال الأعرابي: كلام من هذا..؟ فقلت : كلام الله، قال: أعِدْ، فأعدتُ (والله غفور رحيم) ثم تنبهت،

([53]) الرازي، المرجع السابق، 145/10.

([54]) سورة المائدة، الآية: 38.

فقلت: (والله عزيز حكيم)، فقال : الآن أصبت، فقلت: كيف عرفت..؟ قال: يا هذا، عز، فحكم، فأمر بالقطع، فلو غفر ورحم، لما أمر بالقطع[55].

المناسبة بين الأسماء الحسنى (اللهِ، رَبِّ الْعالَمِينَ ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الواردة في أول سورة الفاتحة:

أجرى الله سبحانه وتعالى على لفظ الجلالة (الله) نعْتَ الربوبية للعالمين ليكون كالاستدلال على استحقاقه تعالى للحمد وحده، وفي ذلك إشعارٌ لعباده بأنهم مكرمون من ربهم، إذ الأمر بغير توجيه، فكأنه سبحانه وتعالى يقول لهم: اجعلوا حمدكم وثناءَكم لي وحْدي، لأني أنا رب العالمين، وأنا الذي تعهَّدْتكم برعايتي وعنايتي وتربيتي منذ تكوينكم من الطين حتى أصبحتم عقلاء مفكرين.

ثم ذكر اسمَيه تعالى (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) لِحكمٍ سامية، مِن أبرزها: أن إيرادهما في عقب اسمه تعالى "رب" الدالّ على الرعاية والعناية والتربية إيذانٌ بأنه تعالى متفضل في ذلك كله برحمته السابقة من غير وجوب عليه.

ومن ناحية أخرى أنّ وصفه تعالى بـــ(رَبِّ الْعالَمِينَ) قد يثير في النفوس شيئا من الخوف أو الرهبة، فإن المربي قد يكون خَشناً جباراً متعنتاً، وذلك مما ينقص من جميل التربية، لذا قرن سبحانه كونه مربيا بكونه الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ لِينفي بذلك هذا الاحتمال، وليُفهم عباده بأن ربوبيته لهم مصدرها عموم رحمته وشمول إحسانه، فهم برحمته يوجَدون ويرزَقون[56].

يقول الإمام القرطبي[57]: وصف نفسه تعالى بعد "رب العالمين" بأنه "الرحمن الرحيم" لأنه لما كان اتصافه بـــ" رب العالمين" ترهيب قرنه بـــ" الرحمن الرحيم" لما

([55]) انظر: الرازي، المرجع السابق، 236/11؛

([56]) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون التاريخ 13/1؛ الطنطاوي تفسير القرآن الكريم، 23/1؛ آيدين، محمد، تفسير سورة الفاتحة نمـــوذج تفـــسير تحليلي، مجلة كلية الإلهيات، جامعة صاقريا، العدد (5)، 2002، ص 18.

([57]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1965م. 184/1.

تضمن من الترغيب ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه فيكون أعون على طاعته وأمنع كما قال: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ }[58]، وقال: { غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ...}[59] وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ"[60].

ومن الأمثلة على المناسبة بين الآيات

مناسبة الأمر بالمحافظة على الصلوات[61] في قوله تعالى { حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}[62]، عقيب الأوامر السابقة[63] أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فيكون ذلك عوناً لهم على امتثالها، وصوناً لهم عن مخالفتها، وقيل: وجه ارتباطها بما قبلها وبما بعدها، أنه لما أمر تعالى بالمحافظة على حقوق الخلق بقوله: {وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ}[64] ناسب أن يأمر بالمحافظة على حقوق الحق، ثم لما كانت حقوق الآدميين منها ما يتعلق بالحياة، وقد ذكره، ومنها ما يتعلق بالممات ذكره بعده في قوله : {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ}[65].

ومن أمثلة المناسبة بين السورة واسمها:

([58]) سورة الحجر، الآية: 49-50.

([59]) سورة غافر، جزء من الآية:3.

([60]) مسلم، الصحيح، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي 2109/4، (رقم الحديث:2755) ؛ الترمذي، السنن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق أحمد شاكر وآخرون، 549/5، (رقم الحديث:3542)

([61]) أبو حيان، المرجع السابق، 543/2.

([62]) سورة البقرة، الآية: 238.

([63]) انظر الآيات 234-237 من سورة البقرة.

([64]) سورة البقرة، الآية: 237.

([65]) سورة البقرة، الآية: 237.

مثاله: المناسبة بين مضمون سورة الكهف واسمها؛ فإن السورة قد ذكرت أنواع الفتن التي تمر بالمرء؛ إذ ذكرت فيها الفتنة في الدين في قصة الفتية، وفتنة الجلساء في قوله:{ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ...}[66] ، وفتنة المال في قصة صاحب الجنتين، وفتنة العلم في قصة موسى والخضر، وفتنة السلطان في قصة ذي القرنين، وفتنة القوة والكثرة في خبر يأجوج ومأجوج، وذكرت هذه السورة المخرج من كل واحدة من هذه الفتن؛ فكأنها كهف لمن اعتصم بها من الفتن[67]، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ"[68].

ومن المناسبة بين أول السورة وخاتمتها:

قال الزجاج (ت 923/311): لما ذكر الله تعالى في سورة البقرة فرض الصلاة والزكاة وبين أحكام الحج وحكم الحيض والطلاق والايلاء وأقاصيص الانبياء وبين حكم الربا، ذكر تعظيمه سبحانه بقوله سبحانه وتعالى: { لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} ثم ذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم ثم ذكر تصديق المؤمنين بجميع ذلك فقال: " آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه " أي صدق الرسول بجميع هذه الاشياء التى جرى ذكرها وكذلك المؤمنون كلهم صدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله[69].

ومن عجيب هذا النوع أن آخر السورة قد يكون مضادا ومقابلا لأولها، ومثاله : في سورة (المؤمنون) افتتح السورة بذكر فلاح المؤمنين {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}[70]،

([66]) سورة الكهف، الآية: 28.

([67]) انظر الخضيري، موقع http://www.ruowaa.com/vb3/showthread.php?t=6081

([68]) مسلم، الجامع الصحيح، 199/2، رقم الحديث(1919)، دار الجيل، بيروت.

([69]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، بيروت، 426/3.

([70]) سورة المؤمنون، الآية: 1.

واختتمها بنفي فلاح الكافرين {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}[71].

ومن أمثلة المناسبة بين السورتين

سورة المائدة من أواخر ما نزل في المدينة، والأنعام مما نزل في مكة، ومع هذا فلا نلاحظ ما بينهما من فارق زمني نظرا لما بينهما من قوة الارتباط، وهذا من إعجار ترتيب القرآن[72].

قال الزركشي: إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى كافتتاح سورة الأنعام بالحمد فإنه مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء كما قال سبحانه (وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين)، وكافتتاح سورة فاطر بالحمد أيضا فإنه مناسب لختام ما قبلها[73].

الخاتمة

وفي الختام نستطيع أن نقول إن معرفة علم المناسبات في القرآن الكريم من العلوم المطلوبة التي تعين على الفهم الصحيح لكتاب الله عز وجل، يجب على من يريد أن يفسر القرآن الكريم أن يعتني بها عناية بالغة حتى يدرك انسجام القرآن، إلا أن موضوع المناسبات في القرآن الكريم، وإن عرج بعض المفسرين عليه – كما قال سعيد حوى – فإن أحدا لم يستوعب القرآن كله بذكر الربط والمناسبة بين الآيات في السورة الواحدة، وبين سور القرآن بعضها مع بعض على ضوء نظرية شاملة[74].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

([71]) سورة المؤمنون، الآية: 117.

([72]) القاسم محمد يوسف، الرجع السابق، ص396.

([73]) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 38/1

([74]) حوى، سعيد: الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة : 21/1-28.